كلية : الآداب

القسم او الفرع : / قسم الاجتماع

المرحلة: المرحلة الثانية

أستاذ المادة : أ. م . د . وفاء كاظم علي

اسم المادة باللغة العربية : المجتمع العراقي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Iraqi Society

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: الفجوة بين الحاكم والمحكوم

اسم المحاضرة السادسة باللغة الإنكليزية : The gap between the ruler and the ruled

محتوى المحاضرة السادسة

الفجوة بين الحاكم والمحكوم

ثالثا : الفجوة بين الحاكم والمحكوم : ارجع الوردي هذه الفجوة الى :

١ -تطور عقلية الناس.

٢ -تقدم التعليم المدرسي.

٣ -وسائل الأعلام والمطابع

أوضح الوردي ذلك من خلال مقارنته للمجتمع العراقي بين مدتين زمنيتين مختلفتين هما المدة العثمانية والمدة الوطنية ، حيث قال « كانت الحكومة العثمانية تسمى بـ (الرجل أنما المريض) وكانت عقول الناس مريضة مثلها ، إذ كانوا يتحملون جور الحكام وهم مؤمنون هو بأن ذلك مكتوب عليهم في لوح القدر وقد اعتقد كثير منهم بان الظلم الواقع عليهم من سوء أخلاقهم وقلة عبادتهم وتقواهم . كان الناس بعبارة أخرى الا يفرقون بين المصيبة التي تأتيهم من الحكومة والتي تأتيهم من الطبيعة فلم يكن هناك وكلاهما فرق مثلا بين التجنيد الإجباري والطاعون الذي يحصد أرواحهم حصدا ، في نظرهم من نوع واحد ، وهم لا يجدون إزاءه سوى الصبر والدعاء إلى الله أن يرفع المحنة عن هذه الأمة .

لكن بعد مجيء الحكومة الوطنية فان عقول الناس قد تغيرت أسرع مما تغيرت به لطبيعة الحكام . فأصبح المواطن لا يكتفي بانتقاد الحكومة على إعمالها الخاصة بل يرى كذلك أن لها يدا في الكوارث الطبيعية . ان المطابع والمدارس ومحطات الإذاعة أخذت تمطر العقول بأفكار لم يكن لا بائنا بها من عهد .

أما في عهد الحكم الملكي فقد قال الوردي « ان الحكومة تفرض التجنيد الإجباري على رعيتها ثم لا تسمح لهم بالانتخاب المباشر فهي تريد ان تدرب الفرد العراقي أن يكون جنديا رغم أنفه ولا تريد ان تدربه على ان يكون مواطنا صالحا وعضوا فاعلا في بناء اجهزة ومما لاشك فيه ان الانتخاب المباشر هو من اهم العوامل التي تساعد على تقليص الدولة ، الثغرة بين الشعب والحكومة . والواقع ان الضمير لم يتوحد في اية امة من امم هذا العصر الا بعد أن أحس الشعب إحساسا لا التباس فيه بأنه ينتخب رجال حكومته بنفسه انتخابا ، فالشعب حين يعتاد رؤية ممثليه ينطقون باسمه ويحاولون إرضاءه ، ويدافعون عنه يشعر بأنه عضو فعال في جهاز الدولة وانه يؤلف من الحكومة صنفا واحدا لا ثغرة فيه ، ولا ريب ان شر ما تحلم به

امة من الامم ان يكون لها ضميران ، ضمير لحكامها وضمير لأفراد شعبها ، فهذا الانشقاق في الضمير الاجتماعي يجعل الحكام يظلمون الشعب من حيث يظنون انهم يعدلون ويجعل الشعب متمردا من حيث يظن انه طائعا والعراق ابتلى من هذه الناحية بمصيبة اجتماعية لا حد لها مع الأسف الشديد ».

يأتي الآن تناول حالات اجتماعية مرضية تشير إلى المؤثرات البيئة التي تقوم بها بعض السنن الاجتماعية على حركة التقدم الاجتماعي. أقول معوقات التغير الاجتماعي ، تناولها الوردي في دراساته .

لا مناص من القول بأنه لا يوجد مجتمع بدون حالات اجتماعية مرضية ، فلكل مرحلة تاريخية حالاتها المرضية الخاصة بها ، الا أنها ليست بحالات مستعصية لكنها مسببة لاضطرابات اجتماعية لا تصل إلى درجة عدم توازن المجتمع في نظمه وقوانينه لكن علاجها لا يتم من خلال تركها على وضعها بل من خلال تشخيص مسبباتها وتطويقها بمضاداتها الاجتماعية من اجل عدم توسعها أو انتشارها في جسم المجتمع . فمثلا الاستهلاك الظاهري في المجتمع يؤدي إلى اضطراب في ميزانية الأسرة او دخلها ، فضلا عن انه يمثل احد أوجه التبذير في اقتصاديات المجتمع ، وان وظيفته الاجتماعية إعطاء أهمية للزائر وتبيان مكانة العائلة الاقتصادية والاجتماعية . لكن هذه الوظيفة الاجتماعية اقل أهمية في بناء المجتمع عند مقارنتها مع الاستهلاك العقلاني الرشيد الذي يخدم مستقبل الأسرة ورفاهيتها الاجتماعية والاقتصادية .

انتقد الوردي ظاهرة الاستهلاك الظاهري لأبناء المدن وسماها " بـ (عقدة الطبيخ) حيث قال : ((ان أهل المدن يعانون من عقدة نفسية بشان الطعام ، وهذه العقدة قد تستعمل في بعض الفقراء الذين يحاولون ان يرفعوا مكانتهم الاجتماعية وأن يقلدوا الاغنياء في ضخامة قدورهم وكثرة البذخ على طعامهم .. وان من المفاخر التي يتباهى بها الكثير من أهل المدن هي ضخامة القدور التي يطبخ بها طعامهم ووفرة السمن الذي يوضع فيه والرجل عادة يخجل أن يشتري من السوق مقادير قليلة من المواد الغذائية لبيته فإذا فعل ذلك اعتبره أهل السوق بخيلا واخذوا يتقولون عليه ويذمونه . أنهم يعذرون الفقير اذا فعل ولكنهم لا يعذرون الغني او الذي هو من الطبقة الوسطى فمن مقتضيات الوجاهة ان يطبخ الرجل في بيته أكثر مما تحتاج إليه عائلته وهذه عادة قديمة نشأت لدى الناس من جراء توقعهم مجيء ضيف إليهم على حين غرة . والملاحظ في الأزقة كثرة ما يراق من بقايا الطبيخ عند أبواب البيوت وربما تعمد بعضهم يلفت الأنظار الى وفرة الطعام في بيته » .

هذا ولابد لي بعد هذا الاستطراد أن أشير الى حالة اجتماعية مرضية أخرى وهي حالة الوساطة التي تربك النظام الاداري المبني على الانجاز والقدرة العقلية والخبرة الذي يمثل احد اوجه التقدم الاجتماعي لأي

مجتمع مديني ـ حضري . أقول تسلط العلاقات القرابية او الاقليمية المحلية على مواقع السلم الاداري في تنظيم مؤسسات المجتمع الرسمية ، يمثل أحد معوقات التقدم الاجتماعي .

يقول الوردي بهذا الخصوص « يقصد بالوساطة أن يلجأ الإنسان إلى الوسيط من أولي النفوذ في سبيل تمشية ذلك لكي أموره في دوائر الدولة ، فالفرد حين يلجا الى الوسيط أنما يجري مقتضيات القيم المحلية القديمة ، فهو يناشد الوسيط بحق القرابة او الجيرة او ما أشبه ، حالة اجتماعية مرضية أخرى هي الرسمية التي يمارسها المتعلمون وبعض المثقفين من أجل التقرب من أولي الأمر فيؤدي الى التكالب المادي السريع الذي بدوره يؤدي الى التخلل الخلقي وبناء مؤسسات رسمية غير قادرة على تحقيق أي – تبلور ملموس داخل المجتمع ، بل خاوية في بنائها وفاشلة في تحقيق خدمة المجتمع وهذه الحالة تعرقل مسيرة المجتمع نحو الأمام .

في هذا الصدد يقول الوردي (نحن نلقن تلاميذنا معلومات (علاجية) لا صلة لها بحقائق الحياة ومشاكلها واننا نعلم تلاميذنا على الحماس في سبيل الحق والعدل والفضيلة ، التلميذ يتخرج اذن وهو متحمس حماسة مبهمة تكاد تنطبق على اي وجه »

حالة اجتماعية مرضية أخرى هي الحسد والوسواس اللذان يؤشران . الجهل والافتقار الى الوعي الاجتماعي والنظرة الضيقة للحياة وللناس . فكلما زادت ثقافة الناس ومعرفتهم الفكرية والعلمية زاد وعيهم الاجتماعي ، والعكس صحيح .

لذا فهي حالة مرضية تعيق تقدم المجتمع ، ذكر الوردي في هذا الخصوص « ان الحضارة الشرقية قد عودت ابناءها على عكس ما يقول به القرآن فقد احس كل واحد منهم يخاف من التحدث بالنعمة وانت لا تكاد تتحدث إلى امرأة عن ولدها فتقول « انه سليم معافى » او انه ذكي نشيط حتى تجدها قد استعاذت بالله من قولك »

والغريب ان حضارتنا حين تجعلنا نتخيل الفشل وتعودنا على ان تهمل النجاح الذي يأتينا عفوا من غير مشقة » أما فيما يخص الوسواس – او عقد الاستكمال Perfectionimm فقد قال فيها (انها ارادة متحجرة لأن كل انسان يريد احيانا ان يستكمل العمل الذي يبدأ به ، ولكن هذه الارادة قد تتحجر فتمسي عقدة نفسية . ان هذه العقدة تعد من أكبر عوامل الفشل في الحياة ، فصاحبها لا يستطيع أن يقوم بعمل إلا بصعوبة ، ذلك أنه كل جزء مما يعمل وتراه يهمل الاعتناء بالأصل في سبيل الاعتناء بالفروع نظر او هو ينسى الغاية ويهتم بالوسيلة) . وهناك حالة لفت الوردي النظر اليها ضرورة الاخذ بنظر لظروف المجرم الاجتماعية

عنـد تشريع القانون الجنـائي لأنـها حالـة مدنيـة – حضـارية تـدل علـى الـدوافع الإنسـانية الإصـلاحية وليسـت القمعية الردعية المطلقة ، وان إهمال ذلك عند التشريع يعنـي الأخذ بالسياسـة العقابيــة ولـيس الإصـلاحية . يقول هنا « ان القانون الذي يشرعه المشرعون يؤدي الى الظلم إذا طبق حرفيا وهذا قول لا يظل من وجهة نظر صحيحة ذلك لان القانون ثابت مطلق بينمـا وقائع الحيـاة متغيرة ، وفي بلادنا هناك مثل هؤلاء النـاس الذين يلتزمون بتطبيق القانون حرفيا ، فهم يفكرون بمنطق أصحاب العبيد فهم يسوسون الناس كمـا لـو كــان هـؤلاء الات صماء لا عاطفـة لهـا ولا شخصية وكثيرا ما يحكمون على فقير بانه مجرم اذا الخطأ مرة بدافع من ظروفه القاسية ثـم يحتقرونـه من بعد ذلك ويقيمون في سبيله العراقيل أينما توجه »